باكثير .. أول من كتب الشعر المرسل

ابو عوير

مادفعني الى الكتابة اليكم هو ماكتب في صفحة «ثقافة وفكر» في عدد «الاتحاد» الصادر يوم الاربعاء ١١ مايو ١٩٨٣م تحت عنوان «عرار اول من كتب القصيدة الحديثة» حيث ذكر ان الشاعر الاردني مصطفى وهبي التل هو اول من كتب القصيدة الحديثة، وانه كتب قصيدتيه اللتين كتبهما بالشعر الحديث في عام ١٩٤٢م اي قبل «السياب» بخمس سنوات.

واقول تبيانا للحقيقة ان الشاعر الحضرمي المرحوم علي احمد باكثير رحمه الله، هو المبدع الحقيقي والرائد الاول في هذا المجال. فقد كتب اولى محاولاته عندما ترجم مسرحية «روميو وجولييت» لشكسبير بالشعر المرسل وذلك عام ١٩٣٧م اي قبل عشر سنوات من كتابة «السياب» و «نازك الملائكة» لقصائدهما الحديثة. ثم كتب مسرحية «اخناتون ونفرتيتي» بالشعر المرسل بعد ان استفاد من تجربته السابقة في «روميو وجولييت» بأن اختار اصلح البحور الشعرية لهذا النمط من الشعر وهو «البحر المتدارك» وذلك عام ١٩٣٨، ونشرها عام ١٩٤٠م ثم اعاد طبعها عام ١٩٦٧م.

ولعل قراءتنا لمقدمته للطبعة الثانية تجلو الحقيقة اكثر. يقول رحمه الله في مقدمة الطبعة الثانية (هذه مسرحية «اخناتون ونفرتيتي» اعود اليها بعد ٢٩ عاما منذ عايشتها وكتبتها عام ١٩٣٨م فاقدمها اليوم للقراء العرب كما خرجت للناس في طبعتها الاولى سنة ١٩٤٠م. اقدمها منتشيا مما اجد في سطورها من انفاس شبابي الاول، ومغتبطا لما اصابت من حظ عظيم. اذ صارت نقطة انقلاب في تاريخ الشعر العربي الحديث كله. فقد قدر لها ان تكون التجربة الأم فيما شاع اليوم تسميته بالشعر الحر او الشعر التفعيلي واسميته انا قديما الشعر المرسل المنطلق.

تجربة انطلقت في منيل الروضة على ضفاف النيل بالقاهرة، ثم ظهر صداها اول ماظهر في العراق لدى الشاعرين المجددين الكبيرين بدر شاكر السياب ونازك الملائكة بعد انطلاقها بعشرة اعوام. ثم مالبث ان شاع هذا الشعر الجديد في العالم العربي كله. وان مما اعتزيه من الذكريات ان اديب العربية الكبير الاستاذ اسعاف النشاشيبي، رحمه الله، كان لايلقاني في القاهرة الا ابدى لي كبير اعجابه بهذه المسرحية وحدثني ان هذا الضرب الجديد من الشعر قد مس وترا في قلبه فنظم قصيدة على منواله.

وان الشاعر السياب رحمه الله، كان يذكر لي هذا السبق في كلمات الاهداء التي كان يخطها على كتبه المهداة لي.

وما اذكر هذا مفاخرا - يعلم الله - ولكن للحقيقة والتاريخ فقد شاع بين الناقد خلط كثير في هذه القضية، ولعل في نشر هذه المسرحية اليوم من جديد مايصحح كثيرا من الاخطاء فيما يكتب عن الشعر العربي الحديث من دراسات والله الموافق - ١٩٦٧/١/٩م.

هذا نص مقدمة باكثير رحمه الله للطبعة الثانية من مسرحية «اخناتون ونفرتيتي» اثبته حرقيا لنفس الاسباب التي كتب باكثير هذه المقدمة من اجلها «الحقيقة والتاريخ». ولعل من المفيد ان نذكر هنا ان باكثير تعرض في اخريات حياته لهجمة شرسة من النقاد بسبب الاتجاه الاسلامي في كتاباته حتى كانت اخر كلماته رحمه الله «النقاد ذبحوني» فلا عجب ان جهله كثير من الادباء وعامة الناس. وان كانت قد بدأت تظهر في السنوات الاخيرة بعض المقالات عنه. فعسى ان يجد من الانصاف - بعد وفاته - مالم يجده في حياته الحافلة بالعطاء الاصيل من غير ترقب لجزاء أو شكور.

عبدالحكيم عبدالله الزبيدي

● علي احمد باكثير

● بدر شاكر السياب

● نازك الملائكة